حافظوا على شرقيّتكم؛ لا تسمحوا أن تسلب إرادتكم،
حرّيتكم وإيمانكم في هذا الشرق

رسالة السيد المسيح ٢٠٠٤/٤/١٠

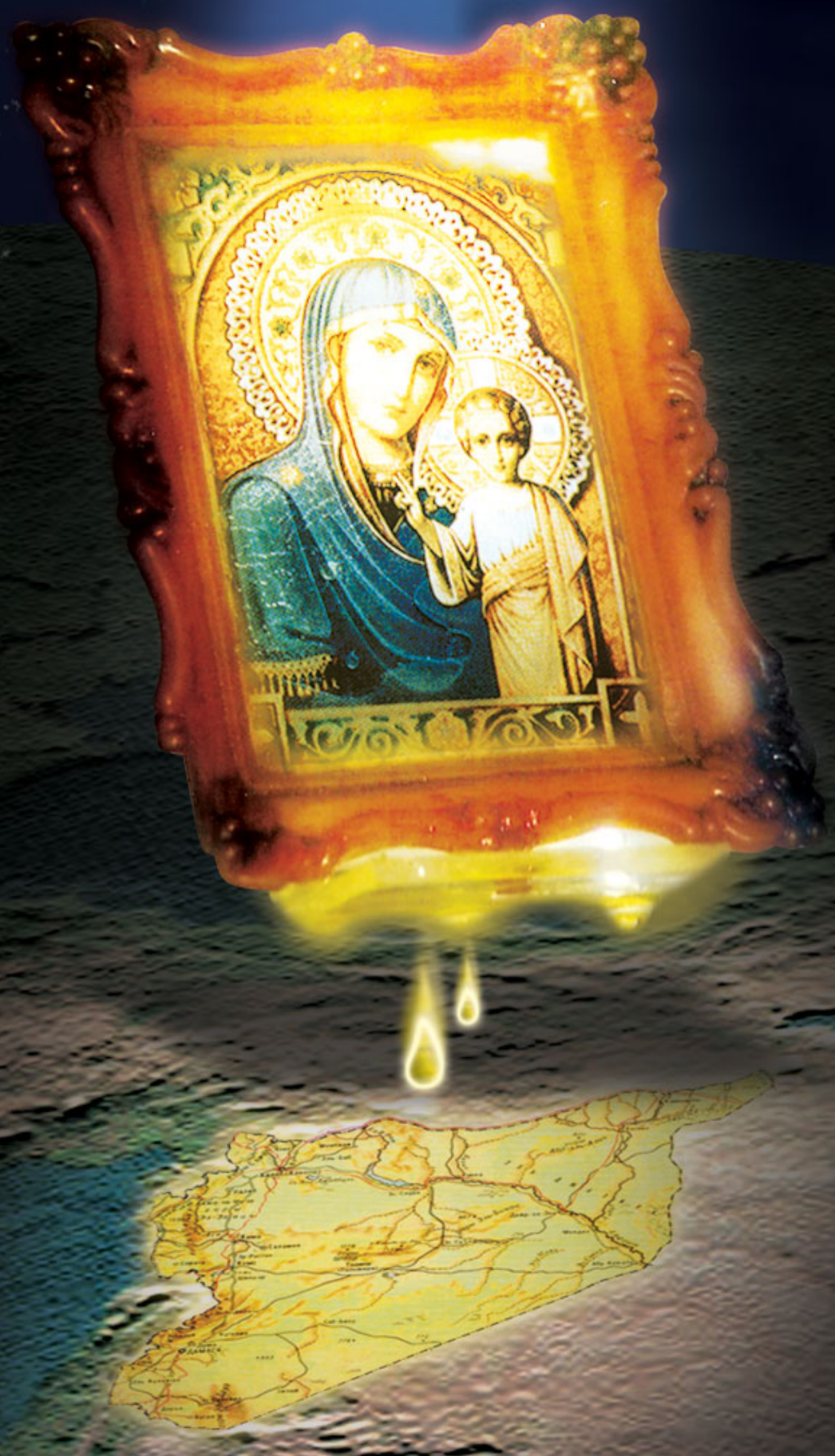

هل للصوفانية ما تقوله في قلب الأحداث الراهنة في الوطن العربي
ولا سيما في سورية منذ آذار ٢٠١١

بقلم الأب الياس زحلاوي

هل للصوفانية ما تقوله في قلب الأحداث الراهنة في العالم العربي ولا سيما في سوريا منذ آذار 2011؟

إن للموضوع الذي أثيره الآن، من الخطورة والالتصاق بالواقع الحارق الذي تعيشه سورية منذ منتصف آذار 2011، ما يضطرني للتحدث عنه على نحو مباشر، بدءاً من عنوانه حتى آخر كلمة فيه...

وفيه، سأترك الكلام لمن هو وحده "الكلمة"، كما وُصِف في الإنجيل المقدس وفي القرآن الكريم، يسوع المسيح، ولأمه المباركة، مريم العذراء.

ذلك بأنّهما تكلّما. وقد تكلّما بالعربية. وكانت تلك هي المرة الأولى، التي تكلّما فيها بالعربية، منذ أن عاشا في فلسطين، لألفي سنة خلت.

واختارا أن يتكلّما العربية في دمشق.

ترى، هل من صدفةٍ لدى الله؟

ولِمَ هذا المكان بالذات، دمشق؟

ولِمَ هذا التوقيت بالذات؟

فلئن كان للإنسان أن يشكّك في كلام أيّ إنسانٍ، مهما علا شأنُه، بل كلّما علا شأنُه، فلكلام السيد المسيح والسيدة العذراء، وزنٌ دونه وزن الكون بأسرِه!

وما قالاه، كان جديداً... وقديماً جداً، بل قِدم الله والإنسان معاً. وقد جاء تذكيراً عربيّاً معاصراً، لما جاء في الإنجيل منذ ألفي عام، من دعوة ملحّة وحرّة، للعودة إلى الله، في إيمان واتّضاع وتوبة ومحبّة، وإنها لَعودةٌ لا تؤتي أكلَها إلا في عودة فعلية وثابتة إلى الإنسان، كل إنسان، في اتّضاع ومحبة وغفران وسلام! وهل من حياة للإنسان من دون الله؟

بالطبع، أتمنى لجميع العرب، أو أقلّه للكثيرين أن يعرفوا جميع هذه الأقوال البالغة الأهمية، إذ فيها، كما أرى، تتكشّف ملامح خطة إلهيّة، أجل أجرؤ وأقول خطة إلهيّة، تخصّ سورية أولاً، وتخصّ الشرق العربي ثانياً، وتخصّ العالم كلّه ثالثاً. والذين سيُتاح لهم أن يعرفوا هذه الأقوال، في ذاتها وفي مضمونها، وفي إطارها الزماني والمكاني، سيتبيّنون صحة ما أجرؤ على التصريح به، في مثل هذه الثقة والبساطة.

غير أني أعرف أيضاً، أن الكثيرين في الوسط الثقافي العربي، في سورية وخارجها، أبوا على أنفسهم أن يُعيروا هذا الحدث أي اهتمام، هذا إن لم يكونوا قد واجهوه، كما صارحني بذلك أحدهم، وهو منهم، بالرفض المسبق، إن لم أقل بالسخرية. ويؤسفني أن أقول إن ذلك كله قد حدث، في الوقت الذي كان فيه الكثيرون أيضاً ولكن في الغرب، من مثقّفين وعلماء وأطبّاء ولاهوتيّين وصحفيّين، قد قدموا إلى دمشق، في مبادرة ذاتية، وأخضعوا الظاهرة كلها لاختبارات علمية وطبية ونفسية، دقيقة وموضوعية وصارمة، قادتهم إلى الاعتراف بها والدعوة لها، بل والكتابة عنها، وقد تنوعت دوافع العديد منهم بين العلميّ الصرف، والفضول والإيمان والشهادة!...

وأخيراً، لا بد لي من أن أذكّر العارفين والمتجاهلين معاً، بأن ما حدث في حي الصوفانية، في دمشق، قد حدث بدءاً من أواخر عام 1982، أي خلال فترة الاضطرابات الأمنية الأولى، المعروفة، ومن ثم طوال السنوات القليلة التي سبقت مباشرة، زماننا الجهنمي هذا.

بالطبع، ليس في نيتي أن أذكر كل ما ورد على لسان السيدة العذراء والسيد المسيح، طوال اثنتين وعشرين سنة. إنه لرائع، وهو على اقتضابه، يمسّ حياة جميع الناس، سواء في الشرق أو في الغرب!

كما أنه ليس في نيّتي هنا أن أتوقّف عند أهمّ ما ورد فيه، لأنّ كل كلمة فيه تفتح آفاقاً على الله والإنسان، لا حدود لها...

حسبي إذن أن أذكر بعضاً من هذه الأقوال الكريمة، لأحاول استجلاء بعضٍ من أبعادها... في ما يخصّ واقعَنا الراهن، وفي ما يرسم، كما أرى، ملامح المستقبل القادم.

ولكن، بادئ ذي بدء، دعوني أصرّح، تبديداً لأيّ التباس، أنّ جميع أقوال السيدة العذراء والسيد المسيح، قد أُعلنت في حينها، بحرفيّتها، أمام الملأ.

وثمّة استثناء واحد، وهو الذي يستوقفني الآن، لأسلّط الضوء المنبعث منه على الجحيم التي تريد أن تأكل سورية اليوم، وإلى الأبد!

هذا الاستثناء يخصّ رسالةً للسيد المسيح، وردت مساء خميس الصعود بتاريخ 1987/5/28 في "بيت العذراء" في حي الصوفانية. فلقد بدت لميرنا من الخطورة بحيث أنّها ارتأت من تلقاء ذاتها، أن تحجب عن الحاضرين قسماً منها، فيما هي أعلنت القسم الآخر، الذي كان يضمّ عبارتين فقط، لا أقصر ولا أغنى، وهما:

« **أحبّوا بعضُكم بعضاً، وصلّوا بإيمان** ».

ثم طلبت ميرنا من جميع الحاضرين أن يغادروا الغرفة، باستثناء الكهنة الثلاثة المتواجدين يومذاك، وهم الآباء: يوسف معلولي، وبولس فاضل، ورزق الله سمعان. وعندها فقط بدا الاضطراب على ميرنا، فأطلعت الكهنة وحدهم، على حقيقة وكامل ما رأت وسمعت من الرب يسوع. وكان الأب بولس فاضل، على عادته، يسجّل بكل دقّة وأمانة، أولاً كلّ ما لاحظ آنذاك لدى ميرنا، من قلق وتوتّر، ثم ما قالت لهم بالحرف الواحد، وأخيراً ما دار بينه وبينها، من حوار، باللغة المحكية، وبحضور الأبوين معلولي وسمعان.

وهذا التقرير الذي كتبه الأب بولس فاضل، أرى اليوم من الضرورة بمكان، أن أنقله كاملاً، بحرفيّته. وقد جاء فيه:

« **انخطاف يوم خميس الصعود 1987/5/28 (القسم الأول من التقرير)**

يوم الأربعاء عشية عيد خميس الصعود. بعد الصلاة التي تُقام كلّ يوم في بيت العذراء في الصوفانية، دُعيت لزيارة السيد نزيه رعد في منزله. كنت متردّداً في قبول هذه الدعوة، لأنّني كنت متوقّعاً أن في هذا اليوم سيحدث شيء ما، اعتماداً على الأمرين التاليين:

1- في هذه السنة وفي كل عيد سيّديّ (أي للسيد المسيح أو للسيدة العذراء) الأيقونة العجائبية تعطي زيتاً.

2- في 31/ أيار 1984 وهو يوم خميس الصعود. حدث انخطاف للسيدة ميرنا، رأت فيه السيد المسيح وأبلغها رسالة. (راجع الرسائل)

أخيراً قبلت دعوة السيد نزيه ولكن قبل الذهاب تركت عند بيت نظور رقم هاتف السيد نزيه وطلبت منهم الاتصال بي في حال حدوث أي شيء.

حوالي الساعة 10.35 ليلاً، تلقّى السيد نزيه مكالمة هاتفيّة من السيد نقولا نظور يعلمه عن نزول الزيت من الأيقونة. تركنا

كلّ شيء وتوجهنا إلى منزل العذراء في الصوفانية، وكم كانت دهشتنا وفرحتنا كبيرتين عندما رأينا الزيت يملأ أكثر من نصف الجرن واستمرار الأيقونة بإعطاء الزيت نقطة تلو الأخرى (بين النقطة والأخرى حوالي 15 إلى 20 ثانية).

ثم حضر الأبوان رزق الله سمعان ويوسف معلولي وعدد من الجيران والمعارف وبعض الزائرين. هنأ بعضنا البعض بالعيدية وبهدية العذراء. بدأنا الصلاة بترتيل المدائح ومجموعة من التراتيل المريميّة المتفرّقة ثم بطروبارية الصعود والقنداق التابع لها. ثم تلونا المسبحة والختام بترتيلة "تعال بيننا" بناء على طلب أحد المصلّين. وما إن بدأت السيدة سلوى نعسان بالترتيل حتى لاحظتُ على ميرنا ملامح الاضطراب وكأن شيئاً سيحدث، جلست ميرنا على المقعد الموجود في أرض الدار وشبكت يديها ووضعت رأسها عليهما وإذ بالزيت ينساب من بين أصابعها. شعرت ميرنا بالزيت في يديها و لم تشأ أن يراها أحد، فانتصبت لتدخل غرفتها لكنها لم تتمالك قواها فهوت. حملناها ووضعناها على السرير والزيت ينسكب من وجهها ويديها.

وهذه تفاصيل ما جرى:

12.35 زيت من الوجه واليدين وألم في العينين وتردّد كلمة: "يا رب".

12.40 بكاء بسبب الألم الناتج من تأثير الزيت على العينين مع كلمة: "يا رب".

12.44 دخول في انخطاف (يلاحظ بعض الانتفاخ في الوجه مع احمرار)

12.58 تنفس عميق وبداية تحرّك بطيء. تحرّك عام في الجسم. انضمام اليد اليمنى على اليسرى. مع انفتاح العينين ثم تسكيرهما (عدة مرات).

1.03 سألها الأب بولس: هل رأيت شيئاً؟

أجابت نعم (بهز الرأس).

س: مين؟

ج: **يسوع**

س: شو لابس؟

ج: **ثوب أبيض ورافع ايدو**

س: قلّك شي؟

ج: **وصية، مافي شي**

س: شي خاص؟

ج: **لا، إلنا، عن المحبة**

س: شو قال بالضبط؟

ج: **"أبنائي. أحبّوا بعضُكم بعضاً وصلّوا بإيمان."**

س: قال شي غيرو؟

ج: **بركة** (بمعنى بارك)

س: إلك أو للجميع؟

ج: **لا، إلكن**

س: شو قال بعد البركة؟

ج: **إلي، شي خصوصي، وشفلي جروحاتي**

س: وشو قالك؟

ج: **ما قال شي**

س: طلبتي منّو شي

ج: **ما لحقت.**

س: ما صليتيلنا إذن؟

ج: **هو معكن وأنا بدي صليلكن؟**

س: كيف شفتي المسيح؟

ج: **كان هون. شفت نور كتير قوي وكان لابس أبيض. بعد ما حكي بارك وكنتو معو وتركنا وراح.**

انخطاف يوم خميس الصعود 1987/5/28 (القسم الثاني من التقرير)

سُجّلت وقائع الانخطاف بالتفصيل في تقرير خاص من قبل الأب بولس فاضل باستثناء هذا الجزء الذي بقي محفوظاً لحين إعلانه.

(بدت علامات التأثر على وجه ميرنا بعد الانخطاف كأنها تحمل في قلبها أمراً مقلقاً. طلبت ميرنا من جميع المتواجدين في الغرفة الخروج باستثناء الكهنة المتواجدين وقتئذ وهم الآباء: يوسف معلولي، رزق الله سمعان، وبولس فاضل).

التوقيت: 1.27 صباحاً

(نقلتُ ما قالته ميرنا حرفيّاً وبالعربي المحكي)

قالت لي ميرنا بصوت متعب: **بعدني تعبانة... جاينا وقت كتير صعب يا أبونا، مو علينا بس، عكل الناس.**

سألتها: شو الدليل؟

ج: **هو قلّي. لازم كتير نصلّي. لأنو باسمو بنخلص.**

س: هالزمن الصعب بخص الكنيسة؟

ج: **لا، شي عالمي، بسوريا ككل، هويه حرب، هويه جوع... ما بتخلصوا إلا باسمي. عن جدّ شفتكم وشفت المسيح وكلنا حواليه.**

س: الشدة بتدوم كتير؟

ج: **يمكن نموت وما نشوف شي.**

س: كيف شفتي المسيح؟

ج: **كان هون. شفت نور كتير قوي وكان لابس أبيض، بعد ما حكى بارك وكنتو معو وتركنا وراح.**

س: كيف كانت حركة ايديه ليسوع؟

ج: **مدري هيك مدري هيك** (حاولت رسم شكل الحركة التي فعلتها أثناء الانخطاف وهي حركة البركة كما يرسمها الكاهن بالطقس البيزنطي).

س: شفناكي عم تمتمي. كنت عم تصلّي؟

ج: نعم (بهز الرأس)

س: شو كنت عم تصلّي؟ صلاة حافظتيها؟

ج: **صليت يا يسوع الحبيب... لأنو هو قلّي مرّة: إذا تضايقتي صلّي هالصلاة.** »

---------- ☼ ----------

هنا ينتهي تقرير الأب بولس فاضل.

من الواضح أنّ ما ذكرته ميرنا في كلمات قليلة، يُغني عن كلام كثير، ويُلغي جميع التأويلات المحتملة، أية كانت.

ويومها، كنتُ في باريس. وعندما اتصلتُ بالصوفانية هاتفياً، مستطلعاً الأنباء، علمتُ من ميرنا نفسِها أن ثمّة أمراً خطيراً رافق الانخطاف، وقد رأت بحدسها الذاتي، ألاّ تُطلِعَ عليه إلاّ الكهنة الحاضرين، على أن تُطلِعَني عليه بدوري، فور عودتي إلى دمشق.

وهنا، كما أوردت للتو القسم الذي بقي سريّاً حتى اليوم، من تقرير الأب بولس فاضل، أرى لزاماً عليّ أن أورد أيضاً ما جاء بهذا الشأن، في كتابٍ لي، طُبع عام 1990 تحت عنوان: "الصوفانية 1982 – 1990" والذي ذكرتُ فيه وقائعها تبعاً لمشاهداتي الشخصية، بتفاصيلها وتسلسلها، بكل أمانة. ومن المعروف أن هذا الكتاب عرف طبعة أولى عام 1990، ثم عرف طبعتين أخريين متماثلتين مع الطبعة الأولى، وأخيراً أعاد الأب عادل تيودور خوري، الطبعة إياها، عام 2011، في مطبعة الآباء البولسيين بجونية. وقد جاء في الطبعات الثلاث الأولى، في الصفحتين (186–187)، وفي الطبعة الرابعة، في الصفحة (170)، الفقرتان التاليتان بالحرف الواحد:

« 1) "يوم الجمعة 31 أيار، وكان اليوم التالي لعيد الصعود (وهذا خطأ مني أعترف به إذ كان يقع في 29 أيار)، اتصلت هاتفياً من بلدة اسباليون، وبحضور الدكتور انطكلي، بدمشق... فعلمت من ميرنا نفسها أنها رأت الرب، أثناء الانخطاف الذي أعقب انسكاب الزيت من الصورة، حوالي الساعة 23 ليلاً، وقد بارك يسوع المصلين، وقال: "أحبوا بعضكم بعضاً، وصلوا بإيمان!" وأضافت: "ائتمنني على أشياء بلّغتها الكهنة الموجودين آنذاك، وأنتظرك لأطلعك عليها"

2) "فور وصولي إلى دمشق، مررْت بالصوفانية، قبل أن أمضي إلى بيت أهلي. صلّيت مع جميع الأصدقاء هناك، وعرفت من ميرنا ما ائتمنها عليه الرب..." » (انتهى)

والحقيقة تقتضيني الاعتراف الصريح، بأنّ ما أطلعتني عليه ميرنا، كان يُنبئ بحدوث أمور في منتهى الخطورة في سورية، وربما في العالم. وهذا هو بالذات ما جعل ميرنا تقرّر من تلقاء ذاتها، إخفاءه عن الجمهور، وإطلاع الكهنة فقط عليه.

بالطبع، ما كان لنا، نحن الكهنة، أن نُهمل مثل هذا "الإنذار"، أو نتجاهله. ولكن السؤال المطروح والملح كان: ما العمل؟ ما هو المطلوب منا؟ أذكر أننا صلّينا كثيراً، وتبادلنا الرأي كثيراً. ولكن ما كان يستبدّ بنا من شعور، إزاء ما قد يُطلب منا، كان باهظ الثقل، ومحيّراً إلى أقصى الحدود.

إلاّ أنّ ما حدث، فقد حدث. وكان يلاحقنا، نحن الكهنة، ليل نهار. فكنّا نبحث عن توجيه ما!... ومضى شهران كاملان، ونحن في صلاة وترقّب... حتى قاربنا عيد انتقال السيدة، وهو يقع في 15 آب من كل عام. فرأينا أن نلتقي ميرنا، ونسألها أمراً ما... وهنا، أترك لما جاء في كتاب الصوفانية، الذي طبع عام 1990، أن يروي لنا ما جرى في تلك الفترة، بتفاصيله كلّها. جاء في الصفحتين (183–184):

« قبل أن أطوي أحداث عشيّة عيد انتقال السيدة، أودّ أن أذكر حادثاً آخر له دلالته: ليلة 13 آب 1987، أَجريتُ مكالمتين هاتفيّتين مع فرنسا: الأولى طلبتُ فيها الدكتور جان كلود انطاكلي، أسأله فيها نصحاً بسبب وضعي الصحي آنذاك. والثانية طلبني فيها الصحفي كريستيان رافاز، ليتأكد من تاريخ مجيئي إلى فرنسا، وكنت حدّدته معه في منتصف أيلول (سبتمبر).

وقد قلت لكلّ من الدكتور انطاكلي والصحفي رافاز، أننا نتوقّع حدوث شيء ما في مساء 14، أي اليوم التالي.

فرجاني كلاهما أن أتّصل بهما هاتفيّاً في حال حدوث شيء ما.

وهذا ما فعلته فور عودتي إلى غرفتي مساء 14 آب، فرويت لهما ما حدث، وأعطيتهما نصّ الرسالة كما جاءت في الانخطاف.

إلا أنّ السيد كريستيان رافاز أراد أن يعرف المزيد. فقد كان عَلِم إبّان حضوره إلى دمشق، أنّ يسوع أعطى ميرنا رسالة مثيرة، ليلة عيد الصعود 28 أيار 1987، رأت ميرنا أن تبلّغها الكهنة فقط، الكهنة المتواجدين آنذاك، وأنا شخصيّاً بعد عودتي إلى دمشق. وقد كان كريستيان رافاز سمعني والأب معلولي، نتبادل الرأي مع ميرنا حول ضرورة سؤالها يسوع أو العذراء، ما إذا كان يجب علينا أن نُعلِن الرسالة أم لا، في الوقت الحاضر... بسبب ما قد يترتّب على ذلك من نتائج ذات وزن... واستناداً إلى ذلك، سألني السيد رافاز على الهاتف، إذا كان جوابٌ ما قد أُعطِي خلال الانخطاف حول هذا التساؤل. أكّدتُ له أن نعم، على أن أوافيه بالمعلومات فيما بعد... وفي الواقع كتبت له رسالة بتاريخ 25 آب، أخبره فيها أنّ يسوع أعطى ميرنا جواباً عن السؤال، قبل أن تطرحه عليه...

ذلك أني كنت والأب معلولي، والأب بولس فاضل، قبل عيد انتقال السيدة بيومين. قد تبادلنا الرأي مع ميرنا في جلسة خاصة، وألححنا عليها كي تطرح السؤال خلال الانخطاف... فوعدتنا بذلك، في الوقت الذي كانت تقرّ فيه بأنّها لا تدري كيف ستفعل، أو ما إذا كان سيُتاح لها أن تفعل. وقد أجمعنا نحن الكهنة على الإلحاح عليها، كي تغرس الفكرة في ذهنها، وتصلّي، تاركةً للرب أن يفعل هو ما يحلو له.

والحال أنّ ميرنا سمعت صوتاً منبعثاً من "النور"، يقول لها خلال هذا الانخطاف، وقبل أن يُعطيها الرسالة، سمعَته يقول لها باللغة العاميّة:

"الشّي هللي اجيتي مشانو، لا تحكوا فيه هلّق".

وقد سمحت لنفسي بأن أنقل للسيد رافاز هذه العبارة، ولكنّي رجوته أن يحتفظ بها لنفسه. وقد أتاحت لنا، نحن الكهنة، هذه العبارة فرصة للتأمّل الطويل، وتبادل الرأي حول الصلاة ومفاعيلها، وحول رحمة الرب وما قد يخفيه من مستقبل لكنيستنا وبلادنا...

ذكرت أنّي كنت دعوت الأستاذ مقدسي للمجيء، إلى الصوفانية... ولحظة الانخطاف أرسلتُ من اتصل به هاتفياً يحضّه على الحضور... ولكنّه لم يصل إلا في الساعة الثامنة... أخبرني أنّه تأخر بسبب وجود السفير الفرنسي وزوجته لديه، ووجود الشاعر أدونيس... ولكنّه ما إن سمع مضمون الرسالة، حتى انتحى بي جانباً، وقال لي: "أبونا، أنا مقتنع بضرورة نشر مذكّراتك حول الصوفانية!. وأنا سأكتب لك المقدمة". فاجأني الأستاذ المقدسي بهذا القرار الأخير، لأنه كان قبل أيام قليلة، إذ رجوته أن يكتب هو المقدّمة، اعتذر بسبب ضغط العمل، وأنا أدرى الناس بذلك... فاجأني الأمر وأفرحني جداً.

واتّخذت في ذلك المساء قراراً نهائياً بنشر مذكراتي. » (انتهى)

لقد سمعت ميرنا، إذن، هذه العبارة باللغة العاميّة، كما نقلتها لنا، قبل أن تُملَى عليها الرسالة:

"**الشي هللي اجيتي مشانو، لا تحكوا فيه هلّق!**"

كان هذا "التوجيه" في منتهى الوضوح والصراحة. وليس لي أن أُنكِر أنه أراحنا نحن الكهنة، وأراح ميرنا ونقولا زوجها. ولكننا كنا كلّنا، إلى ذلك، نتوقّع ما يكمّله في توقيت لا بدّ آتٍ، وما قد يوضّحه لنا، حتى في طريقة تبليغه. ومرّت السنوات، دون أن يَرِدَنا أي شيء من هذا القبيل، حتى حلّ بسورية هذا الكابوس الجهنّمي!

وكان أن دُعيت ميرنا لمقابلة على فضائية "نورسات" اللبنانية، مساء 2013/2/11، شاركها فيها زوجها نقولا، والأب الياس سلوم. ففاجأت جميع المشاهدين، خلالها، بإشارتها، وإن بطريقة مقتضبة، إلى رسالة 1987/5/28، وأفضت منها إلى ما يجري في سورية، منذ منتصف شهر آذار عام 2011. وقد صارحتني، إثر هذه المقابلة، وكنت لا أزال في دير الآباء البولسيين بحريصا (لبنان)، أنها لم تتذكر تلك الرسالة إلا قبل يومين أو ثلاثة، بعد أن كان الأب بولس فاضل قد ذكّرها بها!

وكانت تلك المقابلة فرصة لنا، نحن الكهنة، رعاة الصوفانية – الآباء عادل تيودور خوري، وبولس فاضل، والياس سلوم وأنا – وقد تواجدنا كلنا في حريصا يومذاك، أن نتبادل الرأي بهذا الشأن، عسانا ننتهي إلى الموقف الذي يتوجب علينا اتخاذه في هذا الزمن الصعب. وقد شاركنا في أحد الاجتماعات اثنان من عشاق الصوفانية، وهما فريد بولاد وزوجته مايا بتساليدس. وكان أن أعدنا مرات قراءة النص الذي كانت ميرنا قد أملته آنذاك على الآباء معلولي وفاضل وسمعان، بعد ورود تلك الرسالة مباشرة، كما أننا أعدنا أيضاً قراءة ما كتبته أنا فيما بعد، عام 1990، بهذا الشأن، في كتابي "الصوفانية"، فانتهينا إلى التمسك بما كان دائماً ثوابتنا في الصوفانية، التي لم نحد عنها يوماً. ونحن نعني بذلك أولاً، المشاهدة المتواضعة للأحداث، ثانياً الشهادة الأمينة لها، ثالثاً، الاعتراف الصريح بها، رابعاً وأخيراً الإعلان الكامل عنها، قولاً وكتابة، في دمشق، وعلى نطاق العالم.

ثمّة نقطة أخيرة وبالغة الأهمية، تستوقفني بشأن هذه الرسالة الخطيرة، رسالة ليلة 1987/5/28. إنها تأكيد ميرنا، لحظة خروجها من الانخطاف، إذ كانت تُملي على الأب بولس فاضل، ما رأت وسمعت خلاله، على ضرورة الصلاة شرطاً للخلاص، كما أوصاها بذلك السيد المسيح، إذ كانت تقول آنذاك بلغتها العامية:

« هو قللي. لازم كتير نصلي. لأنّو باسمو منخلص »

وقد كرّرت أيضاً هذا القول على لسان يسوع:

« ما بتخلصوا إلاّ باسمي! »

صحيح أنّ مطلب الصلاة هذا رافق حدث الصوفانية منذ الرسالة الأولى، وقد جاءت الاستجابة الفورية له، منذ انبثاق أول نقطة زيت من الأيقونة المقدسة حتى اليوم... إلا أنّ السيدة العذراء والسيد المسيح، كانا، في كل ما قالاه، دائمَي التذكير لنا به... ولا يفتنا أن نذكر أن أولى الصلوات التي علمتنا إياها السيدة العذراء، كانت ليلة الحادي والعشرين من شهر شباط عام 1983، حيث قالت باللغة العامية:

« طالبة منكن طلب. كلمة بترسخوها ببالكن، وبتردّدوها دوماً:

"الله بخلّصني. يسوع بنوّرني، الروح القدس حياتي، فأنا لا أخاف... »

ولا يفتنا أيضاً أن نذكر أن يسوع شاء أن يعلمنا في أول رسالة له، وكانت هي أيضاً في يوم عيد الصعود، الموافق 31 أيار 1984، صلاة "يا يسوع الحبيب"، التي قالت فيها ميرنا ليلة 1987/5/28، بالحرف الواحد:

"صليت يا يسوع الحبيب... لأنّو هو قلّي مرّة: إذا تضايقتي، صلّي هالصلاة!"

وهنا، يبدو لي أنه من الأهمية بمكان، أن نتذكّر أن أول انخطاف حدث لميرنا، بعد انخطاف 1987/5/28، قد حدث لها في بلدة معاد بلبنان، بتاريخ 1987/7/22، يوم كان لبنان غارقاً في جحيم الحرب. وما أحوجنا اليوم، لا في

سورية وحدها، بل في الشرق كله أيضاً، إن لم أقل في العالم بأسره، أن نستعيد بالحرف الواحد، ما قال الرب يسوع لميرنا، في انخطاف معاد، إذ كان الزيت ينسكب على رأسها من قدمي المصلوب، وهي راكعة تحت الهيكل مباشرة:

« لا تخافي، يا ابنتي، سأربي جيلي فيك.

صلّوا، صلّوا، وصلّوا. وإذا صلّيتم قولوا:

"أيّها الآب، بحقّ جراحات ابنك الحبيب، خلّصنا!" »

فما أشبه أيّام دمشق، بأيام لبنان!

ويا لها من دعوة تكاد تقصُر كلماتِها كلَّها على الصلاة!

ويا له من وعد بالخلاص يأتينا من الله الآب بجراحات الابن الكلمة!

ويا له أيضاً من وعد، بل من تعهّد، بانطلاقة البشارة مجدّداً، بشارة المحبّة والسلام.

صحيح أنه قال لميرنا هنا، وفي أوقات أخرى:

« سأربي جيلي فيك »...

إلا أن الصحيح أيضاً أنّ أولى رسائل السيدة العذراء، جاء فيها قول يعيدنا كلنا إلى انطلاقة البشارة الأولـــى. وقد قالت فيها:

« بشّروا بابني عمانوئيل! »

والصحيح الصحيح أيضاً أن الرب يسوع نفسه ختم رسائله ورسائل أمه بقوله يوم سبت النور، 2004/4/10:

« من هنا، انبثق نورٌ من جديد،

أنتم شعاعُه!

لعالمٍ أغوته المادةُ والشهوة والشهرة، حتى كاد أن يفقِدَ القيم. ».

وإني لأرى أن الصحيح الذي يعلو على كل صحيح، هو أن كلام الرب يسوع خلْقٌ، أجل خلْقٌ لا يقدر عليه سواه!

وإني لأكاد أسمع في الصوفانية، صوت بولس يقول لنا اليوم في دمشق:

« إني أحسب أن آلام الوقت الحاضر، لا توازي المجد الذي سوف يتجلّى فينا،

فإنّ الخليقة تنتظر بفارغ الصبر، تجلّي أبناء الله،

لأن الخليقة أُخضعت للباطل، لا طوعاً، بل بسلطان الذي أخضعها،

ولكن على رجاء أنّ الخليقة نفسَها ستُحَرَّر هي أيضاً من عبودية الفساد، إلى حرية مجد أولاد الله. »

(روما 8/18–21)

الأب الياس زحلاوي

دمشق ٢٠/٧/٢٠١٢